

.. ما أعجب هذا الحادث ! .. لقد نزلت عن القطار عقب الجرس الثاني لأشرب قدحا من الكونياك ، ولقد شربته فعلا ، وقلت لنفسى « أما والمحطة الثانية بعيدة جدا ، فلا بأس من تناول كأس أخرى » وفيما أنا أرتشفها دق الجرس الثالث ... فاندفعت مسرعا كالمجنون فوثبت فى أول مركبة ، إنى وربكم لمعتوه أبله !

قال بيوتر بتروفتش : ولكنى أراك فى أقصى غاية السرور والطرب ، هلم واجلس إلينا ، أهلا وسهلا ومرحبا !

- كلا كلا ! سأذهب لأنشد مركبتى ، فأجلس فى غرفتى .. عموا مساء !  
- أخشى عليك أخطار القطار ، فلعلك ساقط بين المركبات إن لم تستبصر ، وما أراك - وقد أخذ منك الشراب هذا المأخذ - بمستبصر .. اجلس إلينا ، ومتى بلغنا المحطة التالية أديناك إلى غرفتك ، اجلس إلينا ..

يتنهد إيفان اليكيفتش ويجلس متكرها ، ازاء بيوتر بتروفتش وبه من القلق والاضطراب ما به ، ويتململ فى مقعده كأنه على شوكة.

ويسأله بيوتر بتروفتش قائلا :

- أيان تذهب ؟

- أنا ؟ أنا ؟ أذهب فى الفضاء ، فى فضاء الله ! أذهب فى اللانهاية ! وراء الفلك ووراء المادة ! .. إن رأسى ليدور كالنحلة ! وإن به من التشويش والاضطراب والفوضى ما أنسانى نيتى ومقصدى ، فلا أعرف إلى أين يذهب بى ... أنا ذاهب مع القضاء والقدر حيث شاء .. إلى حيث ألت ! ... هاهاها ! يا سيدى العزيز ، أرايت قط رجلا جن من شدة الفرح ؟ أنا والله ذاك الرجل ، انظر إلى تجد أمامك أسعد خلق الله طرا ! أجل ، بلا شك ولا جدال ، ماذا تبين فى هيئتى ، وعن أى شىء ينم لك وجهى ؟

- عن إذنك .. كذا ، كذا .. قليلا ، قليلا .

- أخشى أن يكون وجهى ينم عن البلادة والغباوة ، يؤسفى أنى لأملك الآن مرآة أقرأ فيها صحيفتى ، معذرة يا سيدى ، يخيل إلى أنى صائر إلى الجنون ، هاها ! أخطر ببالك أنى الآن فى شهر العسل ؟ هذه يا سيدى هى الحقيقة .